

(١)

أيام العزة والنصر في الشهر الفضيل

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد خصَّ الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بفضائل متعددة؛ فكما أنه شهر عبادة وقراءة للقرآن، وذكر، وصلة، وبر، هو أيضاً شهر العزة والنصر، فأيامه على مرِّ التاريخ أيام الغلبة والتمكين، نذكرها بالعزة والفخار، ونستلهم منها ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا، وكان ذلك شأن الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ }، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (قَامَ مُوسَى يَوْمًا فِي قَوْمِهِ فَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَأَيَّامِ اللَّهِ نِعْمَاؤُهُ).

ولا شك أن أيام النصر هي أيام عزة وفرح بنصر الله، حيث يقول سبحانه: { وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ * يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }، ومن هذه الأيام يوم بدر في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة، ففيه أعز الله تعالى عباده المؤمنين ونصرهم رغم قلة عددهم وعدتهم مقارنة بأعدائهم الذين خرجوا كبراً وغروراً ومحاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }، ويقول تعالى: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }.

وفي شهر رمضان في السنة الثامنة للهجرة كان فتح مكة، وهو يوم مشهود أعز الله تعالى فيه نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين، ونصرهم على أعدائهم، وضرب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الصفح والعتو عن آذوه وأخرجوه وتآمروا على قتله حين قال لهم: (مَا تَرُونَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟)، قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ، وَأَبْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (ادْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ)، ولما سمع (صلى الله عليه وسلم) أحد أصحابه يقول: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ نُسْتَحِلُّ الْكَعْبَةَ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (بل اليوم يوم الرحمة، هَذَا يَوْمٌ يُعْظَمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ)، وأعطى (صلى الله عليه وسلم) الأمان لمن دخل الكعبة، ولمن أغلق عليه بابه.

وفي الخامس والعشرين من رمضان عام (٦٥٨ هـ) كلل الله تعالى جهود الجيش المصري بقيادة سيف الدين قطز بالنصر على التتار في معركة (عين جالوت)، بعدما اجتاحت جيوشهم الغاشمة معظم دول العالم الإسلامي، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأهلكوا الحرث والنسل، فكانت بحق من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ، وكانت المرة الأولى التي يهزم فيها التتار، واندحروا إلى غير رجعة.

ومن أهم أيام النصر والعزة والشرف في تاريخنا الحديث يوم العاشر من رمضان (١٣٩٣ هـ)، السادس من أكتوبر (١٩٧٣ م)؛ حيث وفق الله (عز وجل) قواتنا المسلحة المصرية لتحقيق النصر والعزة والكرامة، وتحطيم أسطورة الجيش الذي كان يزعم أنه لا يقهر، ووجهت إليه ضربة أفقدته صوابه، وكبحت كبرياءه، وأجبرت العالم على احترام مصر وجيشها، وكان شعار الجندي المقاتل: (الله أكبر)، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق، محققين قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإن من أهم الانتصارات التي يحققها العبد في رمضان أن ينتصر على نفسه، وأن يكبح جماحها عن كل حرام، فإذا كان الإنسان يبتعد عن الحلال في الصيام عبادة لله رب العالمين، فحري به أن يبتعد عن كل حرام يضره ولا ينفعه، وليقدم لنفسه ما يسره يوم القيامة، حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُنظُرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللهم إني أستهديك لِرَشْدِ أَمْرِي، وأعوذ بك من شرِّ نَفْسِي)، وكان سيدنا عمر (رضي الله عنه) يقول: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَرِئُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُرِئُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا).

وفي ذكرى العاشر من رمضان المباركة نقدم تحية إجلال وتقدير لرجال القوات المسلحة الذين يقفون بصدورهم وسواعدهم قبل أسلحتهم ومعداتهم لحماية مصرنا الغالية وشعبها العظيم، فهم على مر التاريخ درع الأمة وسيفها، ومصدر أمانها واطمئنانها، ومن ورائهم شعب عظيم يؤازرهم، ويتحد معهم حفاظاً على مصر وحضارتها، وبناءً لأمجادها ومفاخرها.

اللهم بارك لنا في رمضان، وأدم علينا عزك ونصرك، واحفظ مصرنا من كل مكروه.